الثورة
الاحد 22 ربيع أول 1434هـ 3 فبراير 2013م العدد (17608)

يتامى الحروب في اليمن.. قصص ينسجها القهر!!

اليتيم محمد عامر: قتلوا أبي بدم «بارد» وتسببوا في مأساتنا

أسر الشهداء: لا توجد أي جهة تدعمنا سوى ما يقدم لنا من المواد الغذائية في المناسبات

ذنبهم أنهم أبناء مناطق أشعل أربابها نيران حرب وفتك وبطش عاشت صراعات سياسية وحزبية ومناطقية وقبلية ففقدوا أهلهم وذويهم وراحت أسنّة اليتم والفقر والعوز تطارد أحلامهم البريئة على أمل أن يأتي يوم يعيشون فيه حياة هنيئة رغيدة، يقولون: قتلوا عائلنا ولا يدرون من قتله فذاك مات والده في عملية إرهابية، وذاك نالته أيادي الإجرام وهو يدافع عن مرافق ومؤسسات الدولة، وهذا كان سائرا في سبيله وفي قوت يومه فأتته رصاصة طائشة بيد من جعلوا حصاد الأرواح دليلا لانتصاراتهم وتقوية نفوذهم، وما إلى ذلك من ضحايا المسيرات وثورة التغيير وضحايا الانتقام الحزبي الطائفي المناطقي لتغدوا كارثة يعيش أصحابها بين حياة الفقر والنزوح والعنف بأنواعه وبين أعراض المجتمع عن مناصرة قضاياهم..

تحقيق/ أسماء حيدر البزاز

ما الذنب الذي اقترفناه؟!!

الطفل اليتيم محمد عامر عبدالله حسن في العاشرة من العمر، كبير أخواته الأربع، توفي والده منذ عام ونصف إثر الاعتداءات المتكررة على رجال الأمن وهو مرابط في مكان عمله في حماية المرافق العامة لتنتهي حياته برصاصة استقرت في عينيه وأردته شهيدا.. مأساة صنعتها الصراعات والحروب وخلفت مآسي تجر وراءها أذيالاً من القهر والضياع والشتات ليقول لنا هذا الطفل ببراءته الحائرة وعبراته الخانقة ما ذنبنا من هذه الصراعات، ما ذنبنا أن نعيش حياة اليتم والفقر والذل بعد فقدانه؟ فمنذ رحيله عنا ساءت بنا الأحوال وضاقت بنا الأرض بما رحبت فقد طردنا من منزلنا أنا وأمي وأخواتي الأربع وها نحن نعيش الآن في غرفة هي منزلنا ومرتعنا وبها ملاذنا ومعاشنا امتلأت بها أمتعتنا وعجزت عن حمل مأساتنا.

وتابع محمد حديثه: مع أن أبي فدى بدمه وروحه تربة هذا الوطن الغالي ومن أجل راحة كل مواطن ولكن للأسف لا يوجد هنا من يثمن هذا الدور ويقدر هذه التضحية لا منظمات ولا جهات ولا جمعيات، يصلنا هو معاش أبي الثابت آخر كل شهر والذي لا يسمن ولا يغني من جوع سوى ما قام أحد رجال الخير من تكفل مصاريف دراستي أنا وأختي، فحسبي الله في مجتمع لا يعرف فيه أهله سوى الأخذ لا العطاء!!

أين الوعود لأسر الشهداء؟

وأما زوجة الشهيد الدكتور أحمد حمود قطران تقف صامدة أمام صعوبة الحياة ومتطلباتها بعد وفاة زوجها برصاصة طائشة بأمانة العاصمة منذ الأحداث المضطربة والحروب الطاحنة التي شهدتها اليمن منذ عامين حيث أوضحت قائلة: غيبت الأحداث العصيبة التي مرت بها اليمن روح زوجي الطاهرة عنا وجعلتني رهينة الترميل وأبنائي الأربعة، أسامة وأسماء وأنس وأكرم، رهناء اليتم والألم في سن هم أحوج فيه إلى حنان وعطف ورعاية والدهم الذي منذ رحل تغيرت حياتنا وتدهورت حالتنا وأثر ذلك في أنفسهم وعلى واقعهم وللأسف الشديد نحن الضحايا ولا أحد يهتم بمعاناتنا وآلامنا فقد ما تجود به بعض المؤسسات الخيرية ببعض المواد الغذائية في أوقات مناسبات كالعيد وما شابه ونسمع بوسائل الإعلام عن وعود برعاية والاهتمام لكل الضحايا والشهداء والمنكوبين جراء تلك الأزمات والأحداث ولكن لا شيء على أرض الواقع!!

وهذا ما أكده الطفل أكرم ١٢ عاما ابن الشهيد أحمد حمود هادي، قائلاً: قتلوا أبي وهو سائر في إحدى المسيرات ولا نعرف من قتله ومن هو غريمنا لا نتذكره إلا بآخر مشهد والدماء تسيل منه في منظر أرعبنا من الخوف والألم، وإلى الآن ما زال الذعر وأصوات الطلقات والرصاص تضج بها مسامعنا وتبكي لها قلوبنا!!

إلى إحسان الشارع

مشهد آخر مؤلم لهؤلاء الأيتام الضحايا الذين غدا بعضهم يرتاد الشارع لبيع المناديل الورقية أو بعض الألعاب التي يبيعونها لإسعاد غيرهم من الأطفال، وهذا كان هو حال الطفل ماجد ابن التسعة أعوام والذي أخبرنا عن مأساة فقدان والده أثناء الحروب الطاحنة التي حدثت في منطقة الحصبة والجراف وحي صوفان وكان والده أحد ضحاياها، وبعد أن غاب رب الأسرة الذي كان يرعاهم ويعيلهم لم يجد ماجد إلا تحمل مسئولية أهله وأسرته، مسئولية فاقت عمره وقدرته واقفا هناك أمام إشارة المرور ما أن تقف أي سيارة بجانبه حتى يبادر بمسحها وتنظيفها أملا بالحصول على عشرات الريالات التي ما أن يحصل عليها حتى يحتضنها بكلتا يديه وكأنها قطع من ذهب ترسم ابتسامة على محياه، تصحبها ذكريات مريرة بين ماضي أسرة تخطها الأمان وواقع يخطه الفقر واليتم والذل والحاجة..

اغتالته عناصر الإرهاب

عانت اليمن وما زالت تعاني من الإرهاب وعناصره التخريبية المدمرة التي أهلكت الحرث والنسل وخلقت قصصاً من الحرمان والتشرد والسفك والعتو في الأرض فساداً وهنا تكمن فاجعة يتامى الإرهاب باليمن وهو الطفل عمار أحد أبناء الشهيد البطل أحد قادة الأمن بالبلاد حسين الشبيبي والذي تم اغتياله في محافظة عدن من قبل تلك العناصر التي لا تؤمن إلا بسياسة التخريب والدمار.. ليقول لنا والخوف والقلق والاضطراب من هول ما أصابهم يلعثمان كلماته الخانقة بالألم: نعم اغتالوا أبي وهو يدافع عن اليمن ويفديها بروحه ودمائه.. ثم صمت لتنهمر دموعه الملتهبة على رحيل والده، ليكمل حديثه قائلاً: وبالرغم من أن والدي مات شهيداً من أجل اليمن ولكن لا أحد يقدر ثمن هذه التضحية ولا جهات ولا منظمات تدعمنا تقديراً على الأقل لأسر هؤلاء الجنود البواسل!!

وقد أوضحت لنا إحدى مدرسات الطفل عمار: أنه منذ اغتيال والد عمار وهو يعاني من أزمة حزن حادة تدهور في تعليمه ودراسته كثير العزلة والانطواء والشرود والتفكير بوالده طوال الوقت ولهذا فنحن نحاول جاهدين إخراجه من حالة الحزن والتأثير وطي صفحات الصراعات والحروب ليعود إلى طبيعته كما كان من قبل.

أزمات ومشاهد دموية

ولهذا فهؤلاء الأيتام مروا بظروف نفسية قاهرة من خلال ما خلفته تلك الحروب التي مرت بها اليمن مؤخراً سواءً من حروب صعدة الست وضحايا العنف والإرهاب في أبين وضحايا الصراعات السياسية والحزبية في الحصبة وحي صوفان والجراف ومناطق مختلف من العاصمة صنعاء وتعز والحديدة وغيرها من المحافظات والتي خلفت العديد من يتامى الحروب الذين كان لا بد على المنظمات الحقوقية والإنسانية والجهات الحكومية في اليمن احتضانهم وتأهيلهم النفسي والاجتماعي على تجاوز الأزمات والصدمات النفسية التي تعرضوا لها من مشاهد دموية مؤثرة من قبل ذويهم وأهليهم وتزويدهم بمهارات وأساليب تعليمية تساعدهم على التغلب على الأزمات والأحداث العصيبة التي مروا بها ورأوها، لأنه إن لم يكن كذلك فإن ذلك سيشكل خطراً على نفسية هذا الطفل اليتيم الذي فقد والده أو والديه في مثل هذه الحروب وسيكون شخصية مهزوزة ومضطربة وناقمة وعنيفة تفكر بالانتقام وتؤمن بالسلاح والتعصب إن لم تتوفر برامج تدريبية لإعادة تأهيل نفسية يتامى الحروب في اليمن، كان هذا مجمل حديث الدكتورة وردة عبدالله وهيب – أخصائية علم نفس لنا حول هذا الموضوع.

الدعم النفسي لليتامى

ومن هنا جاء مركز سياج لتأهيل الناجين من الحروب لتأهيل هؤلاء الضحايا يتامى الحروب نفسياً واقتصادياً واجتماعياً، حيث أوضح لنا الأخ أحمد القرشي رئيس منظمة سياج لرعاية الطفولة: أنه تم إنشاء هذا المركز لتجاوز إعاقة الحروب وما تخلفه من أزمات مختلفة لهؤلاء ضحايا ويتامى الحروب والصراعات والنزاعات المسلحة، حيث يترتب على التأهيل النفسي تقديم خدمات الدعم والإرشاد النفسي لهم ولأسرهم من خلال برامج متخصصة تنفذها أخصائية علم نفس تقدم جلسات نفسية بالإضافة إلى جلسات خاصة بالمشاركة الوجدانية، كما يتضمن البرنامج المعاينة وتنفيذ دراسات بحثية وأخرى ميدانية لمساعدتهم في التغلب على المشكلات ما بعد الصدمة النفسية الناجمة عن هذه الحروب وقتلاها وضحاياها.

وأضاف القرشي: ثم نقوم بعد ذلك بالتأهيل الاجتماعي وإعادة دمجهم وذلك من خلال دورات جماعية للضحايا وأسرهم يتم التركيز فيها على تنمية الثقة بالنفس وإكسابهم مهارات التغلب على الأزمات والتكيف مع الوضع الحالي وتقوية إحساسهم بالأمل والتفاؤل ليتم بعد ذلك التأهيل الاقتصادي بتعليمهم حرف يسهل مزاولتها ولا تحتاج إلى تكاليف باهظة أو معدات كثيرة لممارستها، لنقوم بعد ذلك بالتنسيق مع الجهات الحكومية وغير الحكومية لرعاية هؤلاء الضحايا وتقديم الخدمات المناسبة لهم.

مركز لتحسين أوضاع ضحايا الحروب

وللآثار المدمرة للحروب والنزاعات فقد قام المركز اليمني لحقوق الإنسان بإنشاء (المركز التدريبي حول الحروب والنزاعات) حيث أوضحت المديرة التنفيذية للمركز اليمني بحقوق الإنسان الأخت أمل الماخذي بأن هذا المركز يهدف إلى رصد وتوثيق الحروب والنزاعات المسلحة غير الدولية والحروب القبلية وإعداد التقارير عنها وعن ضحاياها وأضرارها الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى رصد أوضاعهم واحتياجاتهم المعيشية والصحية والتعليمية وتأهيل وتدريب على القانون الدولي الإنساني وتحديداً اتفاقيات جنيف الأربع والبروتوكولين الملحقين بها.

إن كثيراً من هؤلاء الأطفال يتامى الحروب يعانون من أمراض اجتماعية ونفسية مختلفة مثل الكوابيس المستمرة يخافون ويهربون كلما سمعوا هدير طائرة، وما إلى ذلك من توقيف تعليمهم واضطرابات نفسية قصيرة الأمد وطويلة الأمد تحتاج إلى جلسات تكثيفية للخروج من محنتهم.

٣١ ألف أسرة!!

وفي تصريح للشرق الأوسط أوضح خالد الجبري مدير مكتب رئيس الهيئة العامة لرعاية أسر الشهداء ومناضلي الثورة اليمنية أنه منذ ثورة ٢٦ سبتمبر وحتى اليوم تكفل الهيئة ما يقرب من ٣١ ألف أسرة من أسر الشهداء الذين سقطوا في الحروب والصراعات والنزاعات وبالمقابل هناك رعاية معنوية تقدم لليتامى من أسر الشهداء تتمثل في إلحاقهم بالجمعيات الحكومية وإشراكهم في المناسبات الوطنية، ومنحهم استثناءات في عدد من الجهات الحكومية.

وأضاف الجبري: إلا أن شحه الإمكانيات لدى الهيئة بسبب الظرف الاقتصادي الذي يمر به اليمن جعل المرتبات التي تصرف ليتامى الحروب والصراعات هي في المتوسط تقدر بعشرة آلاف ريال يمني فقط لكل أسرة!!

تصوير/ فواد الحرازي

■ القرشي: لدينا مركز لتأهيل وإعادة تدريب يتامى الحروب والنزاعات نفسيا واجتماعيا واقتصاديا

■ الجبري: نكفل 31 ألف أسرة من أسر شهداء الحروب والصراعات!!